رواية

كارجو



كريم العقبي

رواية

كارجو



تأليف

كريم العقبي

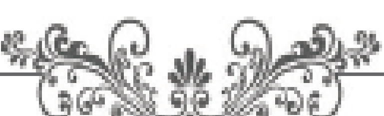
مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
عماد سالم

مدير النشر
باسل سمك

الكتاب : كارجو
التصنيف : رواية
المؤلف: كريم العقبي
تصميم وإخراج : حسن عبدالحليم
الطبعة الأولي
المقاس: ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع: ٤٩١٤/ ٢٠٢٢
الترقيم الدولى: 978-977-993-351-1

العنوان : ٣ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : Yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب



الأهداء

للقارئ

الذكي :D

....

كريم العقبي ...

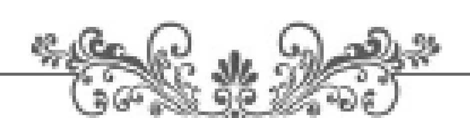


بادئ ذي بدء

باسمك اللهم رب العالمين أبدأ في خط هذه الرواية والتدوين، إنك سبحانك ولي ذلك ونعم معين، والصلاة والسلام على أنبياءك وعبادك من الأولياء الصالحين المصلحين الأولين منهم والآخرين، أستميحك بجبروتك يا صاحب العزة والملكوت أن تكون هذه الرواية إهداء لمن كانت لي خير ضربة بداية ومسك الختام ولكنها تلاشت في غمضة عين...

نعم أقصدك أنت يا سابينا، أراك تتساءلين: «من هي سابينا تلك؟» فلأعترف أنني لن أستطيع أن أذكرك بذاتك ولكني سأذكرك بصفاتك، فالشبه موجود بين اسمك المستعار على الإنترنت وهذا الاسم سابينا، كما أن سابينا الحقيقة تلك كانت شخصية يفوح منها عطر أوروبي له



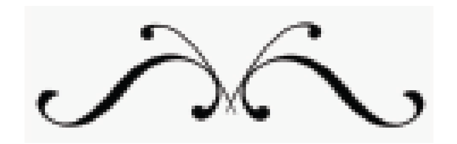


أريج أراه في كلماتك ومعاملاتي معك..

هذه الرواية يا سابينا لك أنت مثل الأسميرالدا التي هام بحبها الجميع في رواية أحدب نوتردام ولم ينالها أي أحد سوى المنية كمدا وغما، وأنت نالك من يتصف بالرعونة غصبا وغدرا، ولأنني أري في نفسي تقصيرا فإنني سأذكرك بما ورد في الأثر وتشاركناه نقاشا وجدالا وهو أن الكاتب ما كتب شيئا في يومه إلا وعاد باكرا ليقول لنفسه إن ما كتبته بالأمس لا يعجبني ولو كان على وجه آخر لكان أحسن ولو زيد عليه من جميل اللفظ والعبارة لكان يستحسن... ولكن نحن بشر وما طبعنا عليه هو استيلاء النقص على مجمل قدراتنا مهما بلغت من اشتعال... ولننطلق إلى النص بما فيه من اشتمال... ولكن هناك نقطة سنتوقف عندها؛ في طفولتي عندما التحقت بدار رياض الأطفال كنا نتدارس جزء عم القرآني، وحين جاءت آية ومن يعمل مثقال ذرة.... إلخ قالت المربية: «لا بد أن تعرفوا يا أطفال أن الذرة لا يمكن رؤيتها ولو تحت ما يعرف بالمجهر الدقيق»... لكنني



أقسمت أنني رأيتها على صفحات إحدى المجلات التي كانت بالمنزل... بالطبع ذلك كان مجرد رسم توضيحي لها لكن درجة اليقين لدي ساعتها لم تعد تلك التي لدي الآن وأصبحت فيما بعد لا أجزم على شيء، فما تراه عيني يكون على مستوى آخر غير الذي يراه غيري، لذا دعيني أنطلق على سجيتي، ولو حدث لبس في بعض الألفاظ والمعاني فلتلتمسي لي العذر، وليبقى ما كان بيننا من ود واحترام سواء من جانبك أو من جانب أي شخص آخر سيقرأ تلك الكلمات...



شوقي رشاد

استلقيت على قفاي مقهقها من كلمات المؤلف لسابينا فما عشقها سواي، فما يشعر به تجاهها إنما هو رغبة في السرد وخوض لغمار قصص الحب التي تجذب الفتيات ولكنها خالية من أي مضمون حقيقي تستطيع أن تجد له ملمسا حيويا في حياة المحبوبة، أما ما أمثله أنا لسابينا فلقد فاق كل المراحل التي تمر بها قصص الحب من تضحية وفداء، وسترون في كلماتي ما يؤكد ذلك ولكن كيف كانت البداية؟؟

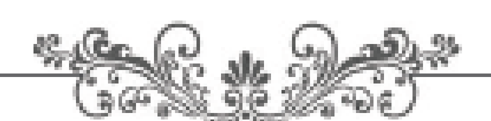
شهدت بداية التسعينيات من القرن العشرين انتهاء الحرب الباردة ودخول حرب الخليج الثانية، بينما كان دينيس ليوتار الذي سيصبح أبي خارجا مستنزف النفس



والطوية من حرب ضروس من تأنيب الذات والضمير ليقع في معمعة ستسببها له من ستصبح أمي...

ففي أحد أروقة كلية الزراعة بالإسكندرية كان خالي الطالب فيها يسير الهوينا ساعيا لتزجية الوقت كما اعتاد ولكن استوقفه صوت يتحدث العربية بلكنة متكسرة قادما من إحدى القاعات فقرر معرفة صاحبه فدلف إلى تلك القاعة التي كانت مكتظة بالحضور، فغمره استغراب ينبئ بأن المتحدث شخصية مرموقة ولكنه لا يعرفها وهو الفضولي فخمن أنه ألماني وبعدما جلس في مؤخرة القاعة سأل من بجواره: «من هذا؟»، فرد الآخر: «إنه السيد دينيس ليوتار، مهندس فرنسي متخصص في تقنيات الري الحديث»، وهكذا اتضح أن الجنسية التي خمنها لم تكن صائبة، فانغمس يسترق السمع للحديث الذي جذب كل هؤلاء الحضور دون جدية إصغاء منه، ثم في لحظة قرر أنه سيستوقف المحاضر بعد انتهاء الندوة ليسأله تطبيق تقنية الري بالتنقيط في بستان أبيه الريفي، وقد كان أن طلب





منه ذلك إلا أن الضيف اكتفى بإعطاءه بطاقة مدون بها عنوان الشركة التي يعمل بها طالبا أن يستقدمه صاحب البستان لا أحد أخر وقد كان حتى يكون ما سيكون...

جاء السيد ليوتار إلى المزرعة الريفية، وأحضر المعدات والعمال، وتم تثبيت أنابيب الري في الأرض، ومع خاتمة العمل دعاه الجد إلى تناول الطعام في المنزل لا في كوخ الاستراحة كما كان معتادا، فلبى الضيف الفرنسي الدعوة وذهب إلى منزل الجد، ودخل غرفة الضيوف، ولكن أمي لم تكن تعلم بقدومه، فدخلت هي الأخرى في نفس اللحظة وحين رأته غادرت مسرعة وصوت يهمس في تلافيف مخها بأغنية أم كلثوم: «قابلني والأشواق في عينيه»، ولقد اندفع في إثرها في ذلك البيت الذي لا يمت لأهله بصلة مرددا: «أي مينرفا! أي مينرفا! انتظريني، فإلى متى سأظل هكذا في ذلك العذاب؟» فتوقفت أمي وعادت إليه مسددة لطمة إلى



وجه أرجعته إلى صوابه الذي انخرط بعده في بكاء وعويل جعل الجد يأتي مزمجرا ليعرف ما الذي دفع بالضيف لانتهاك حرمة ذلك البيت محافظ التقاليد، فقال ليوتار: «اعذرني أيها الأب، لكن ابنتك تشبه تلك التي هام بها قلبي وبفقدانها قدمت هاربا من فرنسا إلى أرض مصر لأنساها، لكن بمجرد رؤية من يشبهها قد كان ما كان»...

ففي الحانة كان دينيس يجلس إلى مينرفا ولكن دب الخلاف بينهما فغادرته منطلقة إلى الشارع فهب مسرعا خلفها لكنه وجدها ملقاة على الأرض تنزف الدماء وهناك سيارة تلوذ بالفرار بعد أن صدمتها، قدم إليها مستجيرا بمن قد يطلب الإسعاف لكنها قالت وهي على شفير الموت: «لا جدوى من ذلك ليوتار، أنا راحلة لكن اعلم جيدا باسم ربة الحكمة التي اختاروها لي اسما أنه لعلك ملاقيني في جثمان آخر»... وقد كان ذلك الجثمان الآخر النابض بالحياة هو أمي التي استغربت جدا إجادة دينيس للعربية فقال لها فيما بعد: «يا روحي إن مينرفا كانت مدرسة

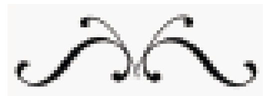


للغات الشرقية وقد طلبت منها أن تعلمني العربية حتى أستطيع قراءة ألف ليلة وليلة بلغتها الأصلية، ولكن ما عشته معك يا عزيزة عيني أضعاف أضعاف لذة شهريار من حكي شهرزاد»...

هدأ الجد من روع ليوتار وسأله: «أفهم من كلامك أنك تريد الزواج من ابنتي، ولكنها مسلمة وأنا لا أعرف لك دينا»؛ فتردد دينيس لأقل من لحظة ثم قال: «سأعتنق الإسلام»، وهنا ارتسمت بسمة خجولة على وجه الجد الذي قال: «قبل أن تعتنق الإسلام سألقي على مسامعك ذلك الحديث النبوي الشريف الذي يتحدث عن إنما الأعمال بالنيات، وأنا أرى أن نيتك هي امرأة تنكحها لا ابتغاء وجه الله تعالى ورسوله، لذلك أنا أرفض، فلتغادرني ولتحسن إسلامك ثم تأتي إلى طالبا يد البنية مثل أي شخص آخر من بني جلدتها كان ليطلب يدها»، فغادر دينيس عاقدا



العزم على ممارسة الشعائر راجيا رحمة الغفور المنان لا نيل إحدى الحسان، وقد أشهر إسلامه باسم رشاد بشارة؛ رشاد لأنه تبين له الرشد من الغي، وبشارة لأنه لا ينفك يأمل في تحقيق ذلك الأمل الذي وعدته به مينرفا، وكما ترون أنه كان مذبذبا بين عقيدته الدينية الجديدة وما يسعي إليه من خطبة النساء...



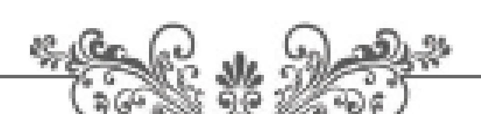
تمت الخطبة إذا ومن بعدها تم عقد القران ثم الزفاف الذي كنت ثمرته أنا شوقي مواليد مطلع عام ١٩٩٢، تلقيت أعظم رعاية ممكن أن يتلقاها طفل في مصر في تلك الآونة، وفي يوم اصطحبني أحد مدرسي إلى مكتبة جديدة ومتطورة أقيمت تحت رعاية زوجة الرئيس السيدة سوزان مبارك في إحدى القرى القريبة، تركني المعلم على حريتي تماما أجوب أرجاء المكتبة وفي حديقتها وجدتها تجلس في ظل شجرة مستغرقة في قراءة إحدى مجلات

القصص المصورة، بالطبع لم أقل مثل أبي: «أي ميترفا!» ولكنني بادرتها بالقول: «تقرأين القصص المصورة وكأنك تطالعين النظرية النسبية لآينشتاين»، فوضعت القصة جانبا وقالت: «وما هي النسبية؟ ومن هو آينشتاين يا هذا؟» فانتابني الخجل وقلت: «لا أعلم عنهم شيئا ولكن أمي حينما تراني مثلك هكذا مركزا في كتب التسلية تقول هذا الكليشيه»، فعادت إلى قصتها ولم تعقب، فتركتها وفي قلبي شعور لم يرد على قلبي الصغير من قبل، إنها سابينا بهجة القلب المتوجة التي شاءت الأقدار أن تكون هنا ليرتسم الحنين بين جوانحي كلما عادت تلك اللحظة إلى مخيلتي الفصامية، ستسألون: «وما دخل الفصام هنا؟» وسيكون ردي: «الفصام هو محور هذه الرواية التي بين أيديكم وستعلمون ذلك كلما صرتم تقلبون في طياتها»... فمن الواضح أن اسم الرواية كارجو، وكارجو كلمة إنجليزية تعني الحمولة التي تكون على متن القطار أو السفينة أو الطائرة، ولكن كاتب الرواية سيجعلها الحمولة الزائدة

التي عليه أن يلقي بها وسط السطور حتى يغيبها النسيان، نسيان الأسى لا نسيان الإنسان...

المؤلف - كما تعلمين - هو صديقي كريم زميلنا في الثانوية المتفوق الذي لم يحالفه الحظ في نيل بكالوريس الطب والجراحة أو حتى بكالوريوس الصيدلة، لكنه نجح ختاما في الحصول على ليسانس الآداب قسم السياسة يا سابينا، ولكن مؤشرات حبه لديك أراها لم تتغير بعد كل ذلك رغم خجله من معرفتك بإخفاقه المدوي علميا، ولكن هل تتذكرين ذلك اليوم حينما بادرك بالسؤال عن مدى تحصيلك للمناهج الدراسية؟ ولقد قام بذلك قاصدا إشعال نار الغيرة بداخلي فما كان منك إلا أن قمتي بصده مفضلة السير خلفي لتعرفي منزلي، هكذا إذا دون أي سابقة إنذار، وحين التفت إليك لأستنبط غايتك مما تفعلين رأيت ثغرك ينبض بابتسامة كقرص الشمس صبيحة ليلة القدر





فعدت خطوتين ثم ثلاثة فأكثر راجيا الحديث إليك، سألتك: «ألم تكوني من سكان تلك القرية؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟» فرددت بأن أمك كانت ناشزا من أبيك ولكنها عادت إليه بعد تدخل أولاد الحلال، وقد استقر بهما المقام هنا في مدينة ادكو، ثم قمت بسؤالي عن أصلي القروي، فقلت لك إن أبي افتتح مقرا للشركة هنا في المدينة أيضا... ثم في لمحة لن تنمحي من ذهني وجدنا رشقة ماء تنصب فوقنا من إحدى الشرفات حيث امرأة تردد: «لا مكان لهذا الفسق هنا يا ابني السفاح»... فعدونا في الشوارع ضاحكين رغم كل شيء ثم عدت أنت إلى بيتك وأنا إلى داري مفعمين بروح الحب الشجي الأخاذ...

كنت تعلمين أنني أدرس في القسم الأدبي بينما أنت اخترت قسم علمي علوم رغبة في الالتحاق بكلية الصيدلة حلمك منذ الطفولة وقد تمكنت من تحقيقه والتحقت



أنا بكلية الحقوق شعبة اللغة الفرنسية، وهنا كان مفترق الطرق، ذهبت إلى أبي مطلعا إياه على رغبتي بالارتباط الرسمي بك، فما كان منه إلا أن رفض رفضا قاطعا لا لسبب مادي أو بسبب السن وإنما بسبب أبيك، فالمقت بينهما كان على أشده، وهكذا تضاعفت بداخلي الرغبة فيك، فقررت سلوك الطرق الغير مشروعة وأولها التنقيب عن الآثار، وكمراهق في التاسعة عشر ذهبت إلى الكامب الإنجليزي القديم من آثار الاحتلال آملا في العثور على ما يدر على الثراء، وكانت تلك بداية ما أحسبه تضحية، فما أصابني هناك يجعلني أهيب بنفسي عدم الحديث عن الأمر لكن كريم لن يرعوي عن سرد ذلك العبث اللاهي...

في الكامب الإنجليزي دخلت إلى الطابية الساحلية الدوارة، فتراءى أمامي يدخن النارجلية، إنه أبروكساس الشيطان المارد الرجيم فما كان مني إلا أن فقدت الوعي وغبت في ظلمات اللاشيء إلى أن وجدني عساكر الدورية الساحلية واستدلوا على عنواني فأرجعوني إلى أبي الذي



لم يسألني عن الدافع نحو الذهاب إلى مثل هكذا مكان إلا أنه وقع في يده نص قد كتبته أقول فيه: «كل الفتيات مثل كل الفتيات إلا أنت يا سابينا سأجوب العالم من أجل أن ينتهي ما بيننا من شتات، حتى لو وضعوا في طريقنا ما يقوض ما في بنيانه من ثبات»... هكذا أمر جعله يستشيط غضبا فقرر عرضي على طبيب نفساني، والذي أصر بعد إجراء فحص شكلي على أنني مصاب بالفصام... لكن هل فعلا صدقت يا سابينا هذا الأمر؟ لقد حزنت لأنك لم تقفي في صفي رافضة تلك الفكرة لكن في النهاية ذلك هو حقك وسأعرض عليك ما انتابني من نوبات ذلك المرض...

في البداية وبعدما أفقت من وهم أبروكساس رأيته في حجرتي فلم يغم علي تلك المرة بل قررت مواجهته إلا أنه أعرب عن مدى قلقه من عدم إيماني أنا الماسون بنفسي، قلت له: «وكيف ذلك؟» فقال: «دع الأيام تضفي عليك ما للماسون من هيبة، وليتردد صدى دعوتك التبشيرية



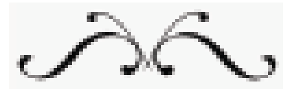
في أرجاء كون المهندس الأعظم»، ومن هنا نبت المذهب الصنوي، تقولين: «ما معنى ذلك؟» فأقول لك: «حينما نقول هذا صنو ذاك أي أنه شبيه له، وبما أنني في دخيلة نفسي الماسون قررت السير في درب المقاصد الماسونية الكبرى وهو دفع الناس نحو توحيد الأديان في دين واحد يجمع بينهم ولا يفرق في شيء حتى ولو كان عبر مذهب وضعي، وقررت تسميته الصنوية، فيوم أنا جيفارا الملحد وسط عمال المزرعة، ويوم آخر أحد المسلمين الأوائل الذين لاقوا العذاب على يد سادة قريش، وفي لحظة تجسد السيد المسيح بداخلي فتصورت نفسي مصلوبا على جذع نخلة في بستان المنزل تنز الدماء من أطرافي، حتى وصل الأمر إلى أن تخيلت نفسي اليهودي التائه الذي يعاقب حتى الآن بسبب تخاذله في نصرة السيد المسيح عليه السلام، أما بوذا فلم أغرم بما لتعاليمه من إدخال للسلام النفسي لسريرتي»، يا لها من أيام يا سابينا أعاقتني عن التقدم الدراسي حيث تعطلت المسيرة الدراسية عاما ظللت أهيم فيه على وجهي لا أدري كيف ستكون نهايتي فما أحمله من



جذوات التدين والصلاح جعلني أطرح على نفسي سؤالا يؤرقني: «كيف سأواجه وجه رب كريم وأنا الماسون الكافر؟ كيف سيغسلونني ويكفنونني؟ هل سيحرقون جثتي؟» ولكن حتى لو حرقوها فليضعوا رماد الرفات في قبر هناك في نهاية اللسان الصخري بقريتي وليأتوا إلي بنحات ليصنع لي تمثالا فوق القبر كتمثال الملكة زنوبيا حتى تطهرني الأمواج المتلاطمة بتعاقب أيام وليالي الزمن، أراك الآن يفتر ثغرك عن ابتسامة بسبب ارتياحك بعد تلك الكلمات لهجرك لي لكني عدت بعد رحيلك عني أقوى مما كنت وقد تخرجت على خير من كلية الحقوق في السنة التي تخرجت أنت منها من كلية الصيدلة ولكنني لم أفكر لحظة في العودة إليك إلا أنني وبعد كل هذا مازلت أحبك من كل قلبي، وكما غادر أبي فرنسا إلى مصر، غادرت أنا مصر إلى فرنسا لإكمال دراستي العليا هناك مباشرة حيث حصلت على الإعفاء من الخدمة العسكرية بسبب كوني من أب غير مصري، وهناك لاقيتك يا سابينا في جثمان آخر هو



جثمان لويزا مارتن الأمريكية ولكن كيف ذلك؟ لا عليك فما رأته مني بسبب ويلات الفصام لم يكن لتطيقينه أنت ولو لحظة واحدة، ولهذا شأن آخر...



ولأن هذه الرواية ليست أطلسا جغرافيا سأقول بأنني نزلت في إحدى المدن الفرنسية دون ذكر أسماء، وهناك استقبلني العم أنطوان أحد أقارب أبي، ودارت الأيام هناك معي بما يليق بإنسان لا أكثر ولا أقل، أستيقظ لأجد الفطور معدا، وابنة العم هناك تجلس عازفة على البيانو، الغريب أنني لم أستشعر ناحيتها أي عاطفة سوى الإعجاب بعزفها، وفي يوم تغير الروتين إذ جاءتها لويزا ذلك اليوم لتعزف، فوجدتها على قدر كبير من الجمال ذكرني بحلم طفولي ما ومن هنا قلت لنفسي: «عادت أيامك يا دنجوان»، ولكنني لم أستطع التقرب منها إلا بمساعدة ابنة العم التي وفرت

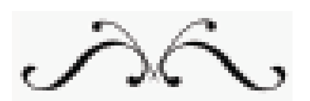


لي كل سبل القربى من هكذا فتاة، لويزا لويزا لويزا!!!
هكذا صاح الطائر الصداح يوم مولدي بأنها ستكون قدري ونصيبي...

عموما لا داعي للخوض في سرد البدايات رغم أنها قرينة النهايات، ما يهمنا هنا أنني بعثت إلى أبي مخبرا إياه برغبتي في الزواج من لويزا، وأنها ابنة محاسب أمريكي يعمل في شركة عابرة للقارات هنا في فرنسا، وأنها وهذا الجدير بالذكر موافقة على الزواج... وفي حفل عائلي بهيج تمت الزيجة التي لم نتلامس فيما قبلها إلا لماما، وحينما جاءت لحظة الدخول بها ومع بدء الإيلاج وجدت أن الغلالة النسيجية لموطن عفتها لم تمس من قبل، فتوقفت عما كنت مقدم عليه وقلت لها: «لا داع لتلك الألاعيب التي نسميها في بلادنا حركات بلدي»، فردت



بصوت يعلوه النحيب: «أنا حقا عذراء يا زوجي العزيز»... ثم أخذت تحكي بأن أهلها أيضا قاموا بعرضها على طبيب نفساني لأنها أصرت على أن من يفض بكارتها لن يكون إلا زوجها الشرعي لا مجرد عابر سرير ولو بعد حين، كما أن معلمة العزف كثيرا ما أخبرتها بأن متعة الجنس في بداية سنوات المراهقة تظل راسخة في الوجدان ولن تضاهيها أي متعة فيما بعد، لذلك الآن هي تطالبني أن أعوضها عما فاتها بالحسنى وإلا ستصنع لي ما لا أطيقه من الأغذية المحفزة للقدرة الجنسية، فما كان مني إلا أن انطلقت في مطارحات عشوائية جعلتها تترجى مني التوقف بعد بلوغ كل صنف مرحلة من النشوة، وهنا لا بد أن أتوقف؛ فبناء على توجهات دار النشر القائمة بطبع الرواية لا حاجة لذكر المزيد، فلا حاجة بتاتا لإثبات فحولتي لديكم ولا حاجة لإثبات أنوثتها كذلك...



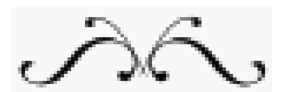


جاءتني أخبار من مصر بأنه تم اعتقال أبيك يا سابينا لأنه له علاقة بتمويل الجماعة الإرهابية، تخيلت الفرحة التي غمرت أبي الذي لا يكن له أي مودة، ثم علمت أنه تم خطبتك إلى ابن أحد الكوادر الفارين وهو مجرد حاصل على دبلوم صناعي لكنه يدير إمبراطورية تركها السيد الهارب، ولقد افتتح صيدلية باسمك وهناك قام ببيع الترامادول دون إذن صرف طبي وها أنت الآن تلاقين جزاءك لكونك مديرة الصيدلية بالحبس بسبب ذلك، لعلك تستمتعين وأنت في محبسك بقراءة هذه الرواية التي نبث من خلالها لواعج الحب والصبابة تجاهك... حتى تتضح الرؤية لمن لم يلحظ ذلك...

في مباراة غانا ومصر في تصفيات كأس العالم التحق بعض مناصري الإرهابية بالجمهور الغاني، وشمتوا في خسارة مصر، ومع تذكر ذلك كانت البداية لنوبة فصام

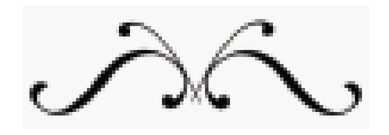


أخرى أشعلها أيضا بأثر رجعي ما رأيناه في بث مباشر من تخبط مندوب الجماعة لدى رئاسة الجمهورية - والذي تم عزله - في التعاطي مع مشكلة سد النهضة، فالخسارة من غانا وما أضرمته من نيران الخزي بداخلي عززت عدوى النفور تجاه أثيوبيا، وها أنا الآن بحكم دراستي للقانون الدولي وضوابط تسيير القضايا عبر منظمات التحكيم أجد نفسي في موضع الصدارة للتعاطي مع هذه القضية التي تقض مضاجع بني وطني، ومن فرنسا بدأت حملة كنت أظنها ستؤتي ثمارها إلا أنني اكتشفت أنني كمن ينقش على الماء، فتوقفت حين جاءت لحظة قال فيها الرئيس السيسي: «بكفاية كل هذا الهراء أيها المصريون»... وها هو النيل مازال ينساب حرا طليقا لتحكي ضفافه تاريخ النضال...





ختاما لكلامي الذي قد يشوبه غبار المقت أقول لك بأنه في نوبة الفصام الأخيرة خسرت لويزا كما خسرتك، ليس على مستوى العلاقة الجسمانية ولكن لأنه على مدى قادم الأيام ترسخ في وجداني ذلك الشعور بالذنب تجاهها، لقد اتهمتها بتهمة شنيعة وهي أن الولدين الذين أنجبتهما ليسا من صلبي بل هما من إحدى بنوك الأمشاج المنوية، فما كان منها إلا أن أثبتت بتحليل الحمض النووي أنهم أبنائي، هل كان بمقدورك يا سابينا أن تتحملي مثل هكذا اتهام؟ بالطبع لا، لكن لويزا تحملتني لأقصى حد، ومع مرور الأيام اتضح السبب وراء هذا الاتهام، إنه هاجس بداخلي بأنه سيشب أبنائي بعرض فصامي مثلي فقررت أنه لا بد ألا يكونا من صلبي، أترين إلى أي مدي بلغ التشوش واللايقين بداخلي... والآن سأرحل مودعا مفسحا مجال الحديث إلى أنضج صديق فينا وهو عماد نصار، فلتستمعي إليه بإمعان لعلك تستفيقين وأستفيق أنا الآخر...



عماد نصار

مرحبا سابينا! لا تسأليني علام هو قادم من عتاب لشوقي رشاد.. كيف يقول ذلك عن زوجته الخجول؟ هذه أسرار لا يصح مكاشفة آخرين أي ما كانوا بها حتى ولو أنت يا سابينا...

مرحبا مرة أخرى سابينا... قال شوقي رشاد بأنه استلقى على قفاه ساخرا من كلام المؤلف عن حبه لك وأنه - أي المؤلف - ما يبتغي سوى إثارة ضجة حوله كشخص رومانسي، وكان ينقص شوقي أن يقول عن كريم الذي أفهمه جيدا أنه يخوض غمار أدب الفراش كما أراده إحسان عبد القدوس ونزار قباني أو كان ليقول لكريم عما يكتبه: إنه لهو الفجور والبغاء، ولكنه نسى الآية الكريمة:



«وقدموا لأنفسكم»، فنحن لسنا كالبهائم، فلكل ذكر أنثاه الذي ارتبط بها بميثاق العفة والسمو على المنكرات، وليأت حرثه أنى شاء، ولأنني أفهم كريم جيدا كما قلت فهو وقد بلغ الثلاثين ينتظر عدالة السماء، رغم أنه وكما أشار إلي في رسائله سيتحدث عن موقف جعلني أتأفف حقا من نظرته لمساس الإناث من بنات حواء... ولكنني لا أنكر عليه وجهة النظر التي توصل إليها نظرا لأنه وقع يوما في شراك ما يسميه دوما معهد اتخاذ تدابير لأن تصير الفتاة من ذوات الأربع... وكما ترين هو تعبير مبهم لكنه يفسد عليه دوما أي قصة حب يدخلها فيبدو دائما تجاه حبيبته بمظهر اللامبالي...

مرحبا أيها القراء! أنا عماد نصار سأحكي لكم بصيغة الجمع ولن أختص سابينا فقط بالحديث.... لقد التحقت بكلية الطب مع كريم ولقد انضم بداية إلى مجموعة



دراسية غير التي انتمى إليها لكن حدث تعديل في الكشوفات جعله رفيقي في المجموعة وقد قضينا ثلاثة أعوام من الصخب الناعس، إنه حقا ناعس لأنه صخب لم يسمع به أحد ولن نحكي عنه، فقد جاءت أحداث يناير، ثم ما تلاها من فواجع الدهر حتى تحررنا بعد مرير انتظار من حكم من كان يطلق عليها في عهد مبارك الجماعة المحظورة التي أضحت بفضل ثورة الشبان جماعة محظوظة، وها هي الآن ينكشف لنا يوما تلو يوم وجهها الإرهابي القبيح القميء الدميم... ليس في مصر فقط ولكن في كل أرجاء وطننا العربي من المحيط إلى الخليج بأذرعها التي تحمل من الأسماء ما لا يوحي بالارتباط بين الأصل وفروعه... وهذا دوما ديدنها المخاتل...



انتهيت من دراسة الطب وكريم لما يفصل من كلية الصيدلة بعد، ولكن تم فصله فأتيت به ليعمل في السوبر



ماركت الخاص بوالدي ليقضى فترته في شيء نافع قبل الالتحاق بالخدمة العسكرية بينما أنا أقضي فترة الامتياز في المستشفى الجامعي بالإسكندرية...

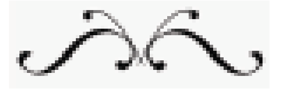
ولهذا السوبر ماركت قصة فلقد كان أبي موظفا في إحدى شركات الأسمدة وقد خرج إلى المعاش بدرجة مدير عام وتلقى مكافأة مجزية لنهاية الخدمة فاشترى هذا المحل بعمارة المروة حديثة البناء وأسماه بالمروة أيضا، ولم يكن يدري يوما أن يشهد ما أن مقدم على حكيه....

كنت على موعد مع كريم بعد انتهاء عمله لنتنزه على الكورنيش، فذهبت إليه في المحل الخاص بأبي فوجدته قد خرج في توصيل أحد الطلبات، ولم يكن بالمحل أحد سوى أبي والكاشير وبعض صبية المناولة وعامل الثلاجة، وفي تلك اللحظة دخلت إحداهن فنظرت إلي مقطبة الجبين، فابتسم أبي وقال لها: «لا عليك يا رندة إنه ابني الدكتور



عماد الذي حكيت لك عنه»... فانزعجت وتراجعت للوراء خطوة مرددة: «أبدا لم تحك لي عن أحد من عائلتك عماه... لكن عموما فليوفقه الله»... فانحنيت شاكرا إياها في أداء مسرحي، وهنا انفجر الجميع في الضحك، فتضرج وجهها بحمرة جعلتني أعلم جيدا أنني لن أنساها..

ولأنها كانت على استعجال طلب مني أبي أن أقوم بحمل المشتريات وتوصيلها، فرفضت هي أن يقوم الدكتور بالتوصيل، فهذا ليس مقامه، لكنني قلت له مستغلا الموقف: «بالعكس فمقامك أنت لا يستحق سوى طبيب ليقوم بتوصيلك»، وهنا تناهى إلى مسامعنا صوت أحد المارة: «حقا إنكما تستحقان بعضكما البعض»... فتساءلت هي في ضجر: «متى ينتهي هذا المسلسل الهابط؟» فقلت لها: «أعطيني العنوان وسأسبقك ولتسيري خلفي أو لتقضي بعض شئونك الأخرى وستجدين أنني قمت بالتوصيل على أكمل وجه»...



أعطتني العنوان فذهبت إلى شقتهم في عمارة مجاورة وطرقت الباب فخرج أبوها الذي حييته بتحية الإسلام فرد بأحسن منها، وسألني بعدما أسلمته المشتريات: «أين رندة؟» فكان ردي: «لقد آثرت ألا أسير معها حاملا المشتريات نظرا لأنني حقا لست من عمال المحل بل ابن صاحبه، فقررت المجيء وحدي ولتأتي هي على راحتها»، وفي تلك اللحظة وجدت هاتفي يرن وكان كريم هو المتصل فأخبرته أنني قادم إليه خلال دقائق معدودة، ودعت العم يعقوب الذي بدا على وجهه عدم الفهم لكنه لوح لي مودعا هو الآخر، واستقبلني كريم الذي لم أره منذ مدة بالترحاب والقبلات والأحضان وأيضا بمسحة من الكآبة لعلها غادرته الآن...

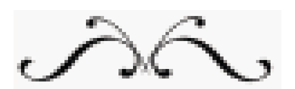
وبضربة خطافية مفاجئة سألته: «من هي رندة؟» فتعالت ضحكته مقهقها: «خير يا مولانا؟ أهكذا من أولها؟» فقلت بصريح العبارة: «هل تتصل بتليفون المحل؟ أريد رقم هاتفها»... فتنهد وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله،



أترى أنها أهل لذلك، بالإضافة إلى أنها ضيفة علينا»... فسألته: «كيف؟» فقال: «إنها سورية يا عماد، ألم تلاحظ لهجتها ولهجة أبيها؟» فقلت: «لا والله، تبدو لهجتها وكأنها من دمنهور أو دسوق أو المنصورة أو حتى طنطا، ما تختلف عنا بشيء»، فقال: «لا بد إذا من أن تراجع طبيب أنف وأذن»، ثم تأبط ذراعي وانطلقنا إلى الكورنيش، وهناك مع أول نسمة هواء معبقة باليود قادمة من الشاطئ بكيت، بكيت بكل جوارحي، تذكرت دوما أنا العقلاني أنني أبدا لم أتذوق مرارة شعور كذلك الذي قد يكون بهجران رندة، وهنا وجدت كريم يربت على كتفي رغم ما هو معروف عنه من اندفاع قائلا: «حنانيك، فلنذهب إلى المطعم الذي يعمل به أخوها بائعا للشاورما»... لكنني ما كنت إلا لأرفض مثل هكذا أمر... لكن كريم ألح علي حتى يطلعني على ملاحظة ما في ذلك الشخص... وحتى الآن لم ألحظ شيئا، فقط رأيت الحياة تبتسم لي وقد أصبح أخوها صديقي بين عشية وضحاها، وفي يوم أرسلت له على تطبيق الواتسآب



أطلب منه أن يخبر أباه بأني سأطلب يد أخته، فرد علي بتسجيل صوتي تكدست فيها كل ألوان الزمجرة والسعادة في نفس الوقت يخبرني بأنه لا دخل له بمثل هكذا أمر، علي الذهاب رأسا إلى السيد الوالد، فما أنا مقدم عليه إنما هو مجرد لعب عيال إذ تجاهلت البدء بالأب سواء أبي أو أبيها، ففاتحت أبي في الموضوع ولقد وافق ببعض الشروط ومن ثم ذهبت معه في ليلة لم يغب فيها القمر إلى شقة الحاج يعقوب، ولقد استقبلونا على أروع ما يكون، وهناك علمت أن رندا تعيش مع أبيها وأخيها فقط، بينما الأم وصبيان قد قضوا نحبهم في هجوم عسكري شنيع لا يعرفون حتى الآن من قام به من أطراف الأزمة... وها هم الآن في مصر إذ سيقترن المصري ببنت من حماة مدينة النواعير الأثرية، وليكتب الله لي ولها دوام العزة والعزم...





لن أخوض في إجراءات الخطبة وما يسبق الزفاف، لكنني شاء قدري في لمحة خاطفة أن أتيقن من حبي لها، فلقد تواعدنا بأن نلتقي في المطعم الذي يعمل به أخوها، فذهبت لانتظارها لكن الوقت أخذ يمضي ويمضي بينما أنا وأخوها نطلبها على الهاتف النقال وكلي التياع، ولا مجيب، وإذ فجأة وجدتها آتية هاتفة باسمي: «ما لحبيبي هكذا يجلس حزينا لحاله؟» فقمت بالرد من فوري: «لأن حبيبك لم ولن تغيبي لحظة عن باله»... فتعجبت من سرعة إتياني بالقافية، ثم دلفنا إلى قاعة تناول الطعام، ودار الحديث بين شد وجذب إلى أن انتهينا من تناول الطعام، وقام أخوها مشكورا بتسديد الفاتورة، فأنا مازلت طبيب امتياز وأمامي فترة تجنيد قادمة، إذ إنني لن أتزوج منها إلا بعد إنهاء الخدمة العسكرية حتى لا يقال بأنني تزوجت من سورية هربا من الواجب الوطني، لكن الرياح أتت بما لا تشتهي سفن طموحاتي، إذ تعجلنا في الزفاف نازلين تحت أمر البنية التي تعاني صدمة رهيبة من ذكر

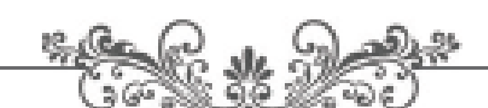


أي أسلحة، فهي تعد ذلك استهتارا من جانبي، ولقد وافقنا، وهكذا لم يصبني الدور في الخدمة العسكرية بسبب كون زوجتي غير مصرية فلم أختلف عن شوقي رشاد في شيء...

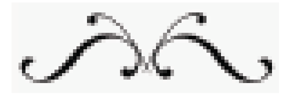
كانت رندا حبلى في الشهر الرابع ووافق ذلك رأس السنة، ومع صرير النوة وأصوات الرعد وأنوار البرق وجدتها في حالة انهيار عصبي، فسألتها عما جرى، فقالت: «هذه الأصوات تذكرني دوما بالغارات الجوية التي راح فيها أمي وأخوتي، فلتحمدوا الله على ما أنتم فيه من أمن وأمان وسكينة»... وهنا جاء دور السؤال: هل حقا رندة في حاجة إلى تأهيل نفسي يعيد لها رونق الحياة بصورة طبيعية؟ ولقد كانت الإجابة: نعم، رندا تحتاج لتأهيل نفسي لمرحلة ما بعد الصدمة، لكن كيف البداية؟

أخذت أسألها وهي بين أحضاني أداعب أنامل يدها الرقيقة عن طفولتها، وما الذي كان يجذبها مما يدور في



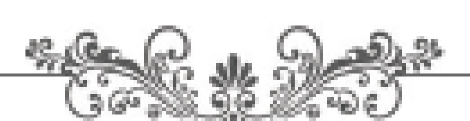


التلفاز، فوجدت بيننا اتفاق على كثير من النقاط، ثم قلت لها: «في يوم سأعود معك إلى وطنك لأتنعم بهواء الريف السوري وقباب المساجد الأموية في دمشق وحلب وحمص، وهذه ليست أمنية بل نبوءة إن شاء الله»، فارتسمت بسمتها التي تذيب ثلوج الروح وتحولها إلى مناخ كاريبي حار يتطلع لرقص السامبا والتانجو والصالصا، ووجدتها تستكين بين ذراعي فتركت الأنامل وبدأت أداعب خصلات شعر رأسها إلى أن وصلت إلى إبهام قدمها... وذلك جعل أبواب جسدها تنفتح أمامي دون أي أدنى حصار مني ولا أدنى مقاومة منها...



إنها ضحكات شريرة متقطعة تنسال من بين شدقي لأن المؤلف الذي يعتبر نفسه صديقي جاءته سدة كتابية وتمكن منه اليأس من إكمال الرواية، أراه بدأ يغوص في أحزانه، في ألم فراق من كان لها أبلغ الأثر في إحساسه





بذاته ولكنها أعربت له عن عدم فهمها له، فما كان منه إلا أن انسحب واصفا إياها بأنه مازالت طفلة لا تستطيع استيعاب مقاصده، وأنها لا تفرق معه، لكنه حقا صفيق كذاب رعديد....

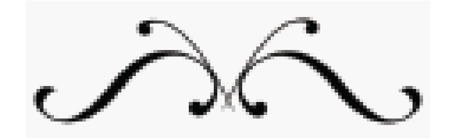
الحمد لله انقضت أيام السدة الكتابية وقد عاد المؤلف إلى الرواية وفي داخله كمية من الغل تجاهي تعادل انشطار قنبلة هيدروجينية، كما ترين سابينا لقد أقسم أغلظ الإيمان بأنه يهيم بك بينما قلبه مع آخريات، لكنه في نفس الوقت على يقين بأنه إذا ما كتب لهذه الرواية النجاح فسيكون بسبب نفحة حب مست شغاف قلبه من ناحيتك أنت التي يريد منك الآن وفورا أن تقومي بالاستماع إلى أغنية عمرو دياب: «يا ناسي وعدك، وعدك لي، بعدك والله، صعب علي»..

×××



أنجبت رندا مني طفلا أسميته سيف، كان لي ولها قرة لأعيننا، ولقد احتفلنا بعقيقة له قام خاله بمهمة الطبخ فيها هو وزميل له من المطعم، وكان لذلك الحدث وقع بداخلي أرغمني على النشيج حينما انتهت العزومة وانفردت بنفسي، ما للقدر لا يرحم هؤلاء؟ هل سيظلون هكذا هائمين بين بلاد الله؟ وقد لا يطيقهم من خلق الله الكثيرون..

ها هنا سأتوقف يا سابينا لأنه بجملة الغل الذي بداخل كريم تجاهي الآن - لكوني حققت ما لم يستطع تحقيقه وصرت جراحا - أراه سيبدأ في الحكي عن نفسه....



كريم محروس

أظن أنكم رأيتم اسمي على الغلاف: «كريم العقبي»، لكنني هنا سألصق اسمي باسم أبي العزيز محروس لأقول له كما قال أبو العلاء المعري: هذا ما جناه علي أبي.. وما جنيت على أحد...

لقد دخلت الأسكندرية راجيا النبوغ والبراعة في الطب مفعما بالأمل وغادرتها محملا بكلمات منها: «أنت لست مؤهلا للتعليم... هل تظنن نفسك أول من يلتحق بالطب يا هذا؟» بالطبع هذا لم يشغلني بدرجة كبيرة لكنني اكتويت بلهيب الغباء العاطفي الذي لم يكن يوما بداخلي، إذ أنني تربيت في مكان كنا نمتاز فيه بالتناصح والإخاء، وبالنسبة لأنني لست مؤهلا للتعليم فقد حصلت على مؤهل جامعي وأضحيت في عداد الخريجين... أما بالنسبة للسؤال الذي



لا يخرج عن كونه قيح بداخل النفوس فإجابته: «يكفي أنني التحقت بالطب طالبا، والدور الباقي على من لا يتعامل معه الطب إلا على نقالة»... وهكذا انقضت زهرة شبابي في هذه العبثية والملاحاة، وأعود مرة أخرى لأقول بأن الأمر لا يفرق معي لأنني ومنذ اللحظة الأولى لي في مدرجات كلية الطب جلست عن يساري فاتنة الدفعة وفاتنة قلبي، وعن يميني صديق فقلت لهما: «لو أنهم يتحدثون باليابانية كنت لأفهمهم فوق ما أفهم من تلك المعلومات»، ثم أردفت: «سينتهي بي الأمر طالبا في إحدى كليات الآداب دارسا للفلسفة»، وهنا رأيتها ترجع بظهرها إلى الوراء مبتسمة في حياء، ولم تعقب إلا أنني حين التحقت بكلية الآداب أخيرا جاءتني في رؤيا وهي تسير بجواري بين مروج خضراء مرددة الدعوات بأنني حقا سأحصل على الليسانس إن شاء الله وجاء من بعدها من تنكر ذاتها في خدمتها لي ومعاونتي على مواصلة رحلة التعليم هاتفة في أذني بكلمة واحدة: «ستعدي»... ولقد عديت يا أملي وسعدي... أراكم



تقولون: «ما وجه الانبهار في مثل هذا الأمر؟ إنك فاشل محدود المفهومية»... لكنني أقول حقا إن الفصام قدري فجعلني أهبط من مرتبة الطبيب إلى مرتبة الأديب، رغم أنهما كثيرا ما اقترنا، ولكنني سأدفع نفسي لأن تأخذني الحماسة لذاتي وأقول: «إنني مع بوادر الفصام التحقت بالطب، ومع تناول الدواء حصلت على الليسانس الذي لم يحصل عليه من هم في غاية الذكاء والمفهومية كما ترون»...

لا يغيب عن بالي أبدا قول المتنبي: «لكل شيء إذا ما تم نقصان، فلا يغرن بطيب العيش إنسان»... هكذا هي الأيام تهدهد فينا تدليلا ثم من بين الحنايا تنقض علينا بالفواجع هادمة للذات العيش، ولهذا خلق الله الضراعة بالصمود...



فمن حسن حظ شوقي رشاد أنه تم تشخيصه بالفصام دون الدخول في حيص بيص لكن قصة تشخيصي مرت برحلة طويلة بدأت مع تغيبي عن بعض امتحانات كلية الطب فذهبنا إلى طبيبة مشهورة وأخبرت أهلي أنني لا أعاني من شيء، فقط أريد بعض مثبتات المزاج ومضادات الاكتئاب حتى أعود أفضل مما كنت، ثم جاءت لحظة الفصل من كلية الصيدلة فتم الذهاب إلى طبيب أكاديمي قال بأنني أعاني من الاضطراب ثنائي القطب، الذي قال لي الطبيب المحلي بأنه أخف حدة من المرض الذي ظننه في، ولقد اعتبرت ذلك وبكل سذاجة تشخيصا لا يخلو من وجاهة، ولم أكن أعلم أنه من هنا ستبدأ المهزلة بمشاركة كل من حولي، كنت أتناول ما وصفه من دواء لأبدأ في الدخول في نوبة من الهلوسة لم أكن أعاني منها من قبل، اجتاحني الجنون فلم أستطع التفرقة بين نفسي والآخرين، تلاشت الحدود بين الحقيقة والخيال، وهذا كان فرصة للخوض في أمور من نوع الآخر إذ تم الإتيان بشيوخ لإخراج الجان من



داخلي، لكنه لم يجدوا بداخلي أحد سوى كريم الذي بدأ التلاعب بهم حتى الوصول إلى حافة الهاوية التي سقط فيها من سقط وأصبح غير مأسوف عليه، وآخرون اعترفوا بالخطأ وطلبوا بكل مرارة التجاوز والتغاضي...

لكن كيف تم التشخيص السليم لحالتي؟؟

ذلك حدث أثناء الخدمة العسكرية التي التحقت بها فخورا بمعانقة جسدي لسترة جيش بلادي، وبما إنني كنت ممن تحت بند العلاقات وهؤلاء بدورهم يتم ترحيلهم سريعا حيث يتلقون تدريبهم في وحدتهم الأساسية لا في مركز التدريب، ولكنني قبل أن يتم ترحيلي بيوم قام الضابط المسئول بمنحي تصريح إجازة نظرا لحالتي وفي جو ضبابي لا أعرف كيف مضى وجدت أنني في منزلي لا أحمل بداخلي أي قدرة على معرفة من أنا، لقد انكبت علي نوبة كالتي عاناها شوقي رشاد، وظللت أهيم على وجهي

ضاربا بكل منطق عرض الحائط حتى التزمت مترجلا خط السكة الحديد الواصل بين رشيد والإسكندرية ساعيا في ظن مني أن سأصل إلى رندة يعقوب زوجة عماد نصار محذرا إياها من أن ابنها الذي في بطنها قد يجرى له ما أصابني ولكن أهلي أرسلوا في إثري أحد أقاربي في سيارة أجرة، وطلب مني مشجعا ومتحديا أن أركب معه لنذهب للعب كرة القدم التي يجرفني الحنين إليها وحين وصلنا المنزل جاءوا بي وطرحوني أرضا وشلوا حركتي وتم حقني بأدوية لا أعرف عنها شيئا، فدخلت فيما يشبه الغيبوبة وأخذت أهذي واصفا إياهم بأنهم أعضاء من الجستابو النازي وليسوا أبناء أمي، وانقضت أيام الإجازة وزيد عليها أسبوع وأنا في حالة إعياء تام من آثار الأدوية ولم أستطع العودة إلى المعسكر، إلا أنهم قالوا لي: «لا تظنن أنك ستفلت بعملتك، انهض حتى نعود بك إلى المعسكر يا من ترى نفسك قادرا على خدمة الوطن»، وحين وصلت المعسكر أعطاني الضابط تصريحا آخر بالإجازة ولكن تلك

المرة كنت أنا المعتدي بالنعال والسباب على من قيدوني وكان لهم تصرف ضدي وكأنني فقدت الاستبصار بما قد يكون مرضا أعاني منه... وما بين شد وجذب انضبطت في الخدمة منتظرا قدوم مندوب يأخذني إلى وحدتي الأساسية في شمال سيناء... وقد جاء...

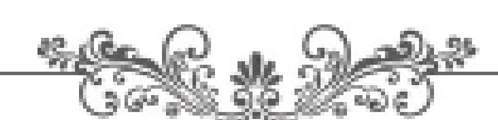
كانت الساعة الثانية ظهرا حينما كنا نعبر جسر السلام المعلق فوق قناة السويس، جال بخاطري تلك اللحظة التي عبر فيها المصريون القناة محققين النصر ولربما كانت طائراتهم المحلقة بارتفاع منخفض لم تتجاوز ارتفاع هذا الكوبري الذي نعبر فوقه، ثم دوت رنة هاتف بأنشودة تقول: عشنا سنين والكتاب رفيقنا.. وهكذا كلما أردت استعادة تلك اللحظة أقوم بتشغيل تلك الأنشودة على اليوتيوب..

وبمجرد الدخول من بوابة المعسكر بدأوا تحقيقا شكليا معي - إذ كان مع المندوب ما يثبت عدم تغيبي عن إدارة



التدريب - عن سبب تأخري في الالتحاق بزملائي الذين وصلوا المعسكر من شهور، فقلت: «أريدكم أن تبدأوا معي بالتعليم القتالي الأولى وأترك لكم الحكم»، لم أستطع تحقيق أي تآزر عضلي عصبي لبعض التمرينات التي لا تعتبر شيئا مقارنة بالذي كنت أراه في معسكرات التدريب، ثم جاء دور ضرب النار، ولم أستطع حفظ تعريف السلاح سماعا، فقلت للشاويش: «هل يمكن أن تكتبه لي في ورقة حتى أستطيع حفظه ومن ثم ترديده؟» فسألني ساخرا: «هل تعاني من خلل عقلي ما؟» فرددت على محمل الجد: «يقولون بأنني أعاني من الاضطراب ثنائي القطب»، فأخذني إلى العيادة الطبية التي طلبت قدوم فرد من أهلي لاستلامي والذهاب بخطاب رسمي للعرض على طبيب نفساني أميري... وقد تم حجزي في إحدى مستشفيات الصحة النفسية لمدة شهر وكان التقرير كالتالي: «المذكور لديه تاريخ مرضي بالفصام، ولكن حالته مستقرة، وإن

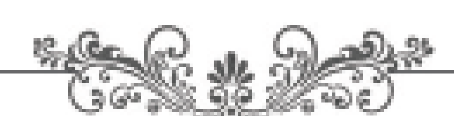




كانت غير متحسنة تماما نظرا لبعض الأعراض المتبقية من الفصام» وهذا ما كان يظنه الطبيب المحلي ولكنه تراجع عنه نزولا لتشخيص الطبيب الأكاديمي... ولكن كيف مضت فترة الحجز في المصحة؟ هل كما كان يبتغي من حولي؟

أولا سألوني: «هل أنت موافق على الدخول للمستشفي؟» فأجبت: «نعم»، ثم بدأوا في الحصول على بعض المعلومات عن أحوالي وأحوال من حولي الاجتماعية، وهنا وبدون سابقة إنذار دخل طبيب وبصحبته نائبة منتقبة تحت التدريب، فأشار إلي بعد أن قرأ خطاب التحويل الأميري وقال: «هذا كما ترين يعاني من حالة فصام تقليدية ولا يجيد التمثيل، وسنرى التشخيص في النهاية، وكما ترين فالطبيب المناوب الذي قام بتحويله كتب عنه: اشتباه اضطراب ذهاني مزمن، بينما هم في العادة يقولون في





مثل هكذا حالات: ادعاء اضطراب ذهاني مزمن»، وقد كان التشخيص كما قال بالفعل ومن أول نظرة...

تم إلحاقي بالجناح المخصص للمجندين، وفي أحد العنابر ارتميت على السرير نائما تاركا زملائي يتناولون الطعام... فجاء أحدهم لإيقاظي قائلا: «يا دفعة، هل قمت بقتل أحد ما؟ ما لك هكذا متدثرا بالغطاء وكأنك هارب من شيء ما يطاردك؟ كل واحد منا هنا له قصة، وسننجو في النهاية، هلم تعال، هناك وجبة زائدة لك»، إلا أنني رفضت دعوته واستسلمت للنعاس حتى صبيحة اليوم التالي.. تناولت فطوري مع الزملاء وحددت طريقة التعامل مع كل واحد فيهم، ثم جاءني الذي سألني بالأمس وقال: «بكفاياك هذه الغطرشة... لماذا أنت هنا؟» إلا أنني التزمت الصمت ولم أعقب، ماذا يمكن أن أقول له؟ ثم جاءني أحد آخر وأخذ يربت على كتفي تدليكا آملا في أن أسترخي وأبدأ



في الحكي، فلكل منا هنا قصة كما قالوا وعادوا، ولكنني التزمت الصمت، فقد ماتت الكلمات بين جوانحي وتيقنت أنني بعيني أرى مصيري الفناء، ولم أعقب، أين الدعابات؟ أين مغازلة الحسان؟ أين تلك التي ألهمتني الفضول لكي أحصل على مكانة بين ضلوعها؟ كل ذلك سينتهي بتقرير للصحة النفسية يقوض بنيان أحلامي..

وحل رمضان وأنا نزيل المستشفى ولم أصمه بينما زميلي المسيحي يصوم تشجيعا لباقي الزملاء، وبمرور الوقت أخذنا نطلق النكات على بعضنا البعض في انتظار من يخرجنا من هنا لا بسبب سوء المعاملة وإنما في انتظار جواب للمعاناة..

وأخيرا خرجت بحلول عيد الفطر وقضيته مع أهلي بينما التقرير لم يصل الوحدة بعد، وحين عدت للوحدة وبمرور الأيام تناسيت أمر التقرير إذ منعوني من حمل السلاح احترازا، ولكن مسئول العيادة استدعاني، فذهبت



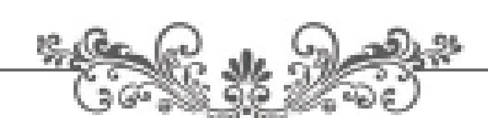
إليه، وطلب مني الجلوس، وبعد أن مج نفسا من سيجارته أطلق تنهيدة وقال: «لقد خدموك يا كريم بهذا التقرير، لقد كنا في انتظاره، لقد كنت مثار شك، ولكننا تأكدنا من أنك لم تكن تناورنا بإدعائك المرض، عموما ستقضي فترة هنا حتى يتم عرضك على لجنة الرفت، وقد تصبح من بعدها حرا طليقا»...

قضيت ما تبقى لي من أيام الخدمة العسكرية في العمل بمخبز المعسكر وكانت تجربة أخرجتني من الحالة المزاجية السيئة التي كنت أعانيها، وحين جاء وقت العرض على اللجنة ذهبت متأنقا، هيا فلتتنادوا اسمي، منذ زمن لم أعش لحظة تشويقية كتلك من بعد انتظار بطاقة الترشيح للكلية، رآني الطبيب ثم قرأ التقرير، وسألني مداعبا: «تريد أن تخرج من الجيش لتعود للعمل أم ماذا؟» فرددت: «صراحة لقد كنت طالبا للطب والصيدلة»، وأطلعته على جواب الفصل، فبدت الحيرة على وجهه ثم أمر العسكري المناوب بعد أن وقع بأني غير لائق أن يقوم بتبصيمي على



بعض الأوراق، وقد كان، ثم عدت إلى المعسكر للحصول على إخلاء طرف تمهيدا للحصول على شهادة تأدية الخدمة العسكرية عن مدة قدرها سبعة أشهر بدرجة أخلاق قدوة حسنة، ولإخلاء الطرف ذلك قصة جعلتني أرغب في كتابة هذه الرواية على الوجه الذي ترونه هنا، إذ قمت بالذهاب للعيادة الطبية توديعا لمن وقفوا بجانبي وهناك وجدت ضابطا طبيبا لم أره من قبل ولقد بادرني بالسؤال: «هل أنت كريم الذي كان طالبا للطب؟» فأجبت بنعم، فقال: «منك لله يا أخي، لقد كان بإمكانك النجاح»... ثم اصطحبني إلى خارج العيادة وكان الوقت مساء والجو صحوا، فقال لي: «فلتلق نظرة إلى تلك النجوم، ماذا تمثل لك؟» قلت: «لا شيء»، فقال: «اقرأ ليوسف زيدان وستعلم مكانتك وسط تلك النجوم المتلألئة».. أخبرته أني قرأت له عزازيل والنبطي ولم يعجبني فيهما إلا فصلي غوايات أوكتافيا، فأنذرني وقال: «لا تستغل مرضك في العبث مع النساء، لأن ذلك قد يعيقك عن الذهاب بعيدا وهذا ما





لا أرجوه، أتمنى أن أسمع عنك قريبا في عالم الكتابة».. فسألته: «وكيف عرفت بأنني أحلم بأن أصير كاتبا؟» فقال: «ما عليك إلا الولوج في هذا العالم وكن مثل يوسف زيدان كما أخبرتك، فلا تقدم على الكتابة إلا بطهارة نفسية وجسدية كما قال عن نفسه وستجد ذاتك»....

وها أنا أتمنى أن يتذكرني ذلك الطبيب وتقع هذه الرواية - التي قد توقع بي تحت طائلة القانون - بين يديه...

ليلة مغادرة المعسكر جافاني فيها النوم، أخذت أفكر في السؤال الذي لطالما طرحوه علي: «ماذا ستفعل في حياتك؟ بأي عمل ستلتحق؟» وكانت إجابتي دوما: «الله أعلى وأعلم».. ومع أذان الفجر ذهبت إلى المسجد لأنعم بأنقى نسمة هواء دخلت إلى صدري مع غبش الفجر، سجدت لمولاي وكلي خجل أنا الذي لم أفر إليه طوعا ولكنه ينقذني

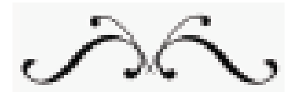


بفضله هرولة سبحانه العزيز ذي المنة... وظللت في المسجد أقرأ في المصحف حتى أتت لحظة وصول أفراد الشئون إلى مكاتبهم، فحصلت على تصريح نهائي بالمغادرة، ولقد دخلت سيناء راغبا في أن يتعرفوا على جثتي إذا ما فارقت الحياة في عمل إرهابي، وها أنا أغادرها دون أن أطلق - ويا للعار - رصاصة واحدة تشفي غليلي من سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان، كلاب أهل النار...

وبمناسبة الرصاصة أتذكر يوما صعدت فيه في لحظة ذهول مما آلت إليه الأحداث إلى سطح المستشفي المركزي بالمدينة مسقط رأسي فوجدت رصاصة عيار ٩ مللي هناك وكان يعلوها بعض الصدأ، فقمت بجلوها ثم احتفظت بها إلى أن دخلت بها سيناء، وفي كل لحظة يشتد على مزاج الكآبة الحاد أخرجها من محفظتي وأبدأ في مداعبتها، فيغمرني حنين إلى مستقبل لا أعلم عنه شيئا دون يأس من روح الله العزيز المنان، ثم أقول: «أما حان بعد أن تخترق رصاصة مثلها جسدي فتخلصني من هذه المعاناة؟» لكن قذف الله بداخلي من يردد دوما: «كريم، لولا بقية من وجدان حالم



للبثت معذبا في الشقاء الدائم»... وها هو الوجدان الحالم يعبر عن نفسه آملا أن يكتب له كما يظن كل من حولي ذيوع الصيت، أو التحصل على قبس من حطام الدنيا الفانية... ولقد جاءت الأيام حقا على خير وجه والتحقت بكلية الآداب وفيها عشت أزهى عصر من الكفاح طلبا للعلم، فلقد كان مستوى تحصيلي قديما إلى نهاية الثانوية العامة أسهل من الماء كما يقول التلامذة، ولكن في الآداب ظلت الأمور عسيرة بعض الشيء - ولكنها ليست مستغلقة تماما كما في الطب والصيدلة - حتى انتقلت إلى الفرقة الرابعة من الدراسة الجامعية وهذا ما لم أستطعه في دراسة الطب، وظل حلما يؤرقني... وهاجسا يقض مضجعي... ولقد اطلع أحد الأساتذة المسئولين على شأن مرضي فقال لي: «لماذا لم تخبرني من البداية؟ كنا لنمتحنك في لجنة خاصة فيها مستوى أسئلة أسهل»... وكان ردي ساعتها: «يا سيدي الفاضل، مثلي مثل زملائي، وذلك هو التحدي»...





ومع بداية الدراسة في الفرقة الرابعة تأكدت أنني فاشل في الحب، إذ دفعت بمن أحبها إلى أن تسمعنى من الكلام ما يندى له الجبين حيث دفعتها في النهاية لأن تقول استياء: «لا أفهم ما هنالك؟ حقا إنه لا حياة لمن تنادي»... بينما أنا غارق في عالم آخر من السعادة لأنها أعادتني بتلك الكلمات إلى الأرض الراسخة التي تمنيت الوقوف عليها، ولكني لا أستطيع أن أجد مدخلا لها من أي ناحية لأعبر لها عن إنني حقا أبالي بها، وأتمنى من الله أن يكون ما أكابده من شوق تجاهها شافعا لي عندها هي التي أخبرتها بأنها أهم عندي من أي شيء آخر كان له مكانة عندي وفارقني.... فهي ليس لها أي بديل ولن أجد لها أي مثيل... إلى أن جاء طلب الإضافة ذلك على الفيسبوك... فوجدت نفسي في أقل من ساعتين مشهرا بي على موقع من إياهم لا يذكر إلا بسوء، هكذا بكل ما للكلمة من معنى وقعت في المحظور الذي رغبني عنه الضابط الطبيب السابق ذكره وأصبحت كما يقال في البلدة غير مرغوب فيه اجتماعيا لأنني



مفضوح، وهذا يجعلني أقوم بالإحالة إلى رواية ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ؛ دنيازاد - أخت شهرزاد - تحمل من شاب لم تره من قبل ولم يرها بسبب عبث الشياطين بهما ورغبتهم في التلهي ببني الإنسان، ثم تعود المياه إلى مجاريها وكأن شيئا لم يكن بل صار ذلك وسلية لأن يلتقيا ويصيرا لبعضهما زوجين متحابين... فحقا بعد مرور أسبوع من نشر المقطع الفاضح لم يحقق أي مشاهدات كما كان يتمنى من يبتزني ولقد أخبرته بذلك، فابن قحبة من ذلك الذي سيهتم بجريرة شخص مثلي؟ فتم حذفه ولم يعد له وجود، وكما يعلم كل من حولي - صوت ضحكات رقيعة - أنني قررت عدم الحديث في الأمر إلا في حدود ضيقة خشية وصول الأمر إلى إدارة الكلية ويتم الإطاحة بي لأنه أمر يمس الكرامة والشرف، وخشيت إتمام الرواية ونشرها رغم حلمي بأن أنشرها وأنا طالب لأنني لن أزكي نفسي وسوف أسرد الواقعة كذلك وسوف يصل الأمر أيضا إلى إدارة الكلية أو قد يكون المبتز قد احتفظ بنسخة



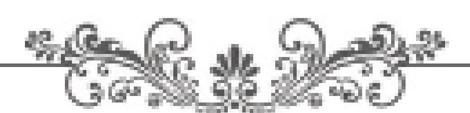
احتياطية يتم عرضها إذا ما حققت الرواية رواجا يذكر رغم ما أخبرني الجميع بأن ما جري يدين المبتز لا يدينني فما قمت به حرية شخصية بينما ما قام به هو اعتداء على خصوصية الآخرين من أجل التحصل على أموال بطريقة غير مشروعة... وها أنا قد حصلت على إخلاء طرف وإفادة من الكلية باجتيازي درجة الليسانس بنجاح، وعبر هذه الرواية سوف يصلهم الخبر فقد يتعنتوا ضدي في أمر منحي شهادة التخرج النهائية التي لا يحتاج لمزيد تعسف بسبب أن هنالك متطلبا لاستخراجها وهو محو أمية خمسة أفراد من أبناء المحافظة...

مازلنا عند رواية ليالي ألف ليلة فهذه الفتاة اللبنانية التي ظننتها اختصتني بعرض تعري لإبراز مفاتنها وعوراتها - تبين فيما بعد أنه من أجل الحصول على مال - أخبرتني في بداية التعارف أنها تعمل في مجال الفنادق،



ولقد علمت جيدا أي مجال تعمل فيه حقا، إنه الدعارة بالفنادق، ولكن نظرا لظروف الحجر الصحي من جراء جائحة كوفيد-١٩ بدأت باصطياد الرجال عبر الإنترنت ومن ثم إغراءهم كطالبين للمتعة الحرام وتصويرهم وابتزازهم، وإنها لأسلمتني مقاليد اللحظة بكل احتراف لأطلب منها أي شيء، فتغمرني تارة بالقبلات عبر الأثير رغبة أن أتحدث معها في أشياء أخجل من ذكرها هنا، فأقل شيء يقال عنها أنها كما قال الشاعر عن فينوس: لها ثديان كأنهما يرضعان القمر... إنها أنيس الجليس التي جمعت كبار القوم في منزلها وهي لا يعدو كونها غير شيطانة تمثلت في هيئة امرأة باهرة الجمال حتى تمكنت في لحظة من جعلهم يخلعون ملابسهم تماما واحتفظت هي بالملابس بينما كل واحد منهم هارب في إحدي الخزانات لا يجد ما يستر عريه ثم جاءت بحمال ليعرض تلك الخزانات في سوق النجارين، وكان ذلك فجرا ولكن تمكن أحد المجانين وهو جمصة البلطي من تحريرهم في آخر لحظة - وكان من بينهم شهريار وصفوة وزرائه - قبل افتضاحهم على





الملأ ولكن تماديا في عبث اللحظة قام بتبديل الملابس حتى يأخذوا وقتهم وزيادة في لملمة عريهم... هكذا أنا أرجو ألا أستمر كثور لاه في هذا العبث، فلقد ذقت الأمرين لاستعادة ذاتي واستنهاض همتي للدراسة أو حتى لترتسم بسمة بين شفتي لمزحة عابرة من أحد الأصدقاء، ولكن ذلك الأمر مضي وانقضي واطلب من الله أن يمحو عني خطاياي أنا العبد الذي ما تركت الحياة شعورا سلبيا إلا أقحمته في خباياي...

لعلكم ترغبون في سرد المزيد لكنني سأترك الحديث إلى آخرنا في سلسلة العشق وهو ياسين رمضان، وإذا ما كان أنضجنا هو عماد نصار فإن ياسين هو الأنقى والأكثر شفافية... أقول لك ياسين: «اختم الرواية لأنني غدا ومع شروق الشمس سأرحل وحيدا لعلني أصل بعد طول انتظار إلى نهاية النفق وأبكي هناك وحدي ما استطعت... أستودعك الله الذي لا تغيب ودائعه يا صديقي»...

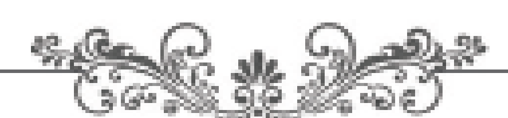


«ياسين رمضان»

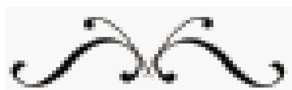
كيف أحوالك سابينا؟

لقد شبهك كريم بالأسميرالدا بينما مسار حياته كما رأيت ورأى القراء يليق بأحد شخوص رواية البؤساء على مستوى العلاقات ونمط الحياة على الأقل، لكنه مازال لم ييأس من روح الله، لقد تربينا أنا وهو سويا، تقاسمنا حمل شكاير الأسمنت وصعود السقالة مساعدين للبناءين ثم هابطين منها سريعا لخطف أعقاب السجائر التي قاموا برميها، نطلق الألقاب على المقاول المسئول عن الموقع، نختلس من المال الذي جمعناه لشراء وجبة الغداء من أجل كوب عصير قصب مثلج، تشاجرنا في مباريات كرة القدم، وانتظمنا كذلك في الصلاة للمعبود الواحد الأحد معا، لكن كل ذلك هل يمكن أن يعد شفيعا لي لديه؟ بالطبع لا.. يقول بأنني أكثر أصدقائه شفافية، بينما هو كما ترون يناصبني





العداء، هو من أسرة متوسطة الحال، لم يتلق أباه الصياد ولا أمه ربة المنزل تعليما لكنهما أخرجوا أبناء متعلمين، وكذلك أسرتي، أبي - كما تعلمين - كان يعمل حوذيا على عربة يجرها حصان لنقل رمال البناء والأسمنت والحجارة من محجر جدك إلى مواقع التشييد، ولقد اتخذ من أبيك قدوة في تربية أبناؤه، لكن أبيك شق عصا الطاعة وانضم للإخوان المسلمين بينما جدك كان من أشد الناصرين لجمال عبد الناصر، حتى لقد أطلق اسمه على أبيك أول فرحته، ولقد عرفنا بأن دينيس ليوتار لا يحمل مثقال ذرة من ود لأبيك الذي يعده متطرفا رغم حصوله على بكالوريوس الزراعة واستصلاحه لبعض الأراضي في الصحراء، لكن هل هذا أمر غريب عن المصريين؟ آلاف الشباب برعوا في استصلاح الأراضي لكنهم أبدا لم يقولوا في لحظة: «طظ في مصر وأبي مصر»، بل لم يوالوا من يبث نار الضغينة نحو الوطن ويؤلب أفراده بعضهم ضد بعض...





التحقت بالطب مع كريم وعماد نصار، لكنني تفوقت عليهما، فبينما كريم لم يتجاوز الفرقة الثالثة، وعماد أصبح جراحا في وزارة الصحة أصبحت أنا نائبا في الجامعة متخصصا في طب الطوارئ، ولكن هل أنا أحب طب الطوارئ حقا؟ لا أظنني كذلك هذه مجرد خطوة مؤقتة لأن نيابة الجامعة تجعلني ألتحق بالخدمة العسكرية لمدة عام فقط وليس ضابطا احتياطيا لمدة ثلاثين شهرا، يا لها من ابتسامة عريضة تحمل من الازدراء أكثر من القبول أراها ترتسم على شفتيك، نعم يا سابينا.. لست وطنيا إلى ذلك الحد، لقد تجرعت من الكأس الذي شرب منه أبيك ثم صبأت، فلقد قاطعني كريم فترة لن أبديت مجرد إعجاب بالعرض العسكري الذي قام به طلاب الجماعة الإرهابية عام ٢٠٠٦ في جامعة الأزهر، أقول عنهم الجماعة الإرهابية لأنهم ما فتئوا يستنجدون بالغرب رغبة في النيل من مصر المحروسة، ولأنهم يريدون تصدير رؤية بأنهم جماعة قوية متماسكة لديها بنيان، ولكنها لا تخرج في استعراضها



لعضلاتها القتالية عن المستوى القتالي لبعض أطفال المجاعة مع الاعتذار لأطفال المجاعات الأكثر اتساقا مع الذات من أبناء تلك الجماعة الموبوءة...

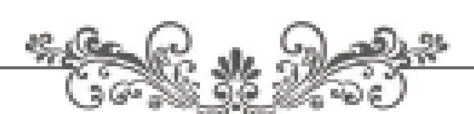
هل حقا أنا أستحق تلك الشفافية التي يراها كريم بداخلي؟ لا أستطيع الإجابة.. الرحمة يا إلهي! ما لدموعي تترقرق بين جفوني هكذا كلما تذكرت كريم وما آل إليه مصيره؟ أخي في الإنسانية قبل أن يكون أخي في أي شيء آخر، مع بعض قهوة ومدرسة كما تقول الأغنية يا كريم وها أنت الآن لا تجد قوت يومك، مولاي الرحيم بأي ذنب تأخذ بناصيته هكذا؟ إنني لم أر يوما في قرارة نفسه أي شعور بالغبن تجاه أحد، أنت الذي تقول: «ولا تبخسوا الناس أشياءهم»، وهو أبدا لم يبخس حق أحد ربما إلا حق نفسه في نيل نصيبه من الدنيا، لكنه سيقدم أوراق اعتماده يوما ما ضمن بني الإنسان الخطائين... كفاك يا سابينا..



ما لك تضجين بالضحك هكذا؟ آه تقصدين حكاية البنت اللبنانية؟ وما أدراك أنه ليس هناك غيرها؟ لقد صدق كريم أنني متعاطف معه حقا.. فلتذق من كأس الجوع والعطش والحرمان فأنت الذي رضيت لنفسك الهوان...

في يوم قام كريم بمشاركة منشور من صفحة المتحدث العسكري للقوات المسلحة المصرية عن نتيجة إحدى عمليات تطهير البؤر الإرهابية في سيناء وكتب فوقها: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بهلاك هؤلاء النافقين»... وعقب: «على فكرة أيها الأصدقاء كلمة النافق لا تقال إلا لموت البهائم والدواب وهؤلاء الإرهابيون هذا أقل ما يقال عنهم»... فعلقت عنده: «كريم ألا تخافهم؟ قد يقوموا بتعقبك»، فقال: «لقد من الله علي بعد تجربة مريرة أشبه بقبض الريح في حزب النور السلفي – رغم مشاركته في إقرار خارطة الطريق بعد ثورة ٣٠ يونيو – أن أصبحت عضوا في



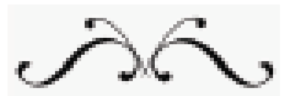


حزب حماة الوطن... ولا أخشى الساعين بالوشاية لأنه يحقق غايتي كشاب رأي بلاده تخوض ملحمة من أجل تعزيز فرص البقاء ومن ثم النماء».. فابتسمت وقلت له: «كم ستثبت لك الأيام أنك كنت ساذجا!» ولكن حتى الآن مازال معمولا بما يراه هو مجرد وجهة نظر لشخص لا يخشى إلا الله ويتخذ من خدمة وطنه وتجرده في رفع اسمها قربى لله عز وجل... وهذا ليس وليد اللحظة، بل مساهمة مبنية على ما رآه من عناء أولئك الذين من حوله أثناء الخدمة العسكرية...

قلت بأنني اخترت تخصص طب الطوارئ من أجل تقليص مدة الخدمة العسكرية لعام واحد... فالتحقت على قوة الكتيبة الطبية في إحدى وحدات شمال سيناء، ولكن شاء قدري أن يتم انتدابي إلى معسكر بالإسماعيلية... وحين وصلت الإسماعيلية أخبرتهم في المعسكر أنني لم أحصل



على إجازة منذ فترة وذلك على عادة أهل الشر الذين دائما وأبدا ليسوا أهلا للثقة، فكلما وجدوا تجاوبا بوقار من الطرف الآخر لجوا في التعمية وزيادة، أو كما يتردد على لسان الشعراء: إنك إن أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمرد.. فأعطاني الضابط المسئول إجازة بحسن نية بحكم أنني طبيب، ولكنه راجع نفسه بعد مغادرتي المعسكر وتواصل مع الوحدة الأساسية بسيناء، سألهم: «لماذا لم تعطوا الجندي طبيب ياسين رمضان إجازة لكل تلك المدة؟» فرد المسئول الآخر وقال: «نعم حضرة الضابط؟! إنه قادم من إجازة للتو».. فطلب منه ضابط معسكر الإسماعيلية رقم هاتفي واتصل بي في الحال، وسألني: «كيف حالك يا سيد أمك؟ فلتحضر إلى المعسكر في أقل من ست ساعات»... وكنت ساعتها قد وصلت بلدتي، ولكني عدت على أعقابي إلى المعسكر مرة أخرى ملوما محسورا، وهناك تم إنهاء انتدابي وعدت إلى سيناء مرة أخرى، ومنع عني أي تصريح بإجازة حتى حدثت تلك الواقعة...





خرجنا في رتل عسكري لمداهمة إحدى البؤر الإرهابية التي تقتات على بيع البانجو، وكنت في سيارة الإسعاف في نهاية الرتل ننتظر على مقربة من موقع الأحداث، وفجأة انقض علينا أحد الإرهابيين المتسللين وأصاب سائق سيارة الإسعاف بطلقة أرداه بها قتيلا، فأخرجت سلاحا كان بحوزة السائق الأميري وبدأت في تبادل إطلاق النار مع الإرهابي وقد تمكنت منه إلا أنه أستطاع أن يصيبني بطلقة طائشة انزلقت بسببها إلى نفق مظلم حالك السواد من الألم والهذيان رأيت فيه أمك يا سابينا يوم كنا صغارا حين جاء عيد الفطر وأسلمتني مسدس لإطلاق الخرز وقالت لي: «تدرب به لأننا سنلاقي اليهود، ونحرر فلسطين».. ورغم أنه في سفر التثنية يعتقد اليهود بقول الرب: «لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا في أرضه»، إلا أننا نرى أفراد الإرهابية أسوأ من اليهود فهم يعيشون بيننا ويمرحون بتسليمنا كما يقولون تسليم أهالي لمن يستحل دماءنا ويقتلنا باسم حلم مزعوم لأستاذية العالم بينما هم



لا يستطيعون حتى إدارة مجموعة من الكانتونات المحلية أو كما قيل إنهم يريدون فتح العالم وهم عاجزون عن فتح كتاب...

ولأنه ليس للحرب أي وجه أنثوي، يعتذر كريم مع نهاية الرواية عما قد سببه من مشاعر موجعة لديك يا سابينا، ولكنه مدرك لما قام به، فإنما دراسته لمادة في الكلية تفسر موضع المؤسسة العسكرية - التي بالتأكيد ذات رسوخ في الوجدان الشعبي المصري - بين السلطة والسياسة يحتم عليه أن يتعامل بعقيدة الصدمة، إذا أنه يؤمن بقول ماري ستاندال بأن الحديث في السياسة من خلال عمل روائي مثل إطلاق رصاصة عشوائية في حفل مكتظ بالحضور...

وإذا كان فرانسيس فوكوياما بأطروحته نهاية التاريخ قد افترض أن الديمقراطية الليبرالية الغربية بصورتها الحالية هي نقطة النهاية لأي تطور أيدلوجي سياسي



شعبي ولذلك لابد من تعميمها كونيا باسم العولمة، فإن ما قام به الشعب المصري تحت حماية - ينكرونها بقولهم وصاية - من قواته المسلحة في ثورة ٣٠ يونيو يعد بمثابة ذروة سنام ما يمكن أن نسميه بزوغ نجم القومية المصرية الذي لن يأفل بإذن الأحد الصمد، والتي يجب ترسيخها - أي القومية - وطنيا تحت مسمى الحوكمة التى دوما ما تحدث عنها السيد رئيس الجمهورية...

ولكن هل كريم حقا ينفر من تنظيم الإخوان إلى تلك الدرجة؟ دعونا إذا نسرد ذلك الموقف البعيد نسبيا؛ في طفولتنا وخلال شهر رمضان قبل ذلك العيد الذي حصلت فيه على مسدس الخرز هدية من أمك اشتركنا في دورة لكرة القدم أقيمت في الباحة الرملية التي بجوار ضريح مولانا ابن أصيل القيرواني، وفي المباراة الافتتاحية كان الحكم هو كادر إخواني شاب مسئول عن تجنيد الأطفال أو



كما يسمونهم الأشبال، وقد احتسب خطأ على كريم الذي ما كان يعتقد بأنه خطأ من الأساس فاستمر بمرواغة اللاعبين وأحرز هدفا، وطبعا لم يحتسب، ولكن كريم أبى الانصياع لقرار الحكم وانسحب بفرقته مستردا مبلغ الاشتراك في الدورة التي لم تكتمل بسبب كمية المحاباة التي كانت في القرارات التحكيمية، وكل لبيب بالإشارة يفهم... فلا مجال لمزيد من الحديث هنا عن تلك الأمور داخل تلك الجماعة البغيضة...

وإلى هنا قد تأخذنا حمية الجاهلية التي يلبسونها زي الحاكمية بأن نرى المؤلف وهو الذي خنقته العبرة في امتحان اللغة العربية بالمرحلة الثانوية حيث جاء نص في سؤال البلاغة لم يسمع به من قبل رغم شهرته يقول: «يا مصر يا أنشودة الدنيا وأغنية الشعوب، يا كعبة الأحرار رن هتاف نصرك في القلوب، يا أم أبطال الفنون وأم أبطال الحروب»، وذلك ليس إلا تماهيا مع النص في الولع بمصر، إذ قد يكون مازال عالقا في ذلك المستنقع الكبريتي الذي



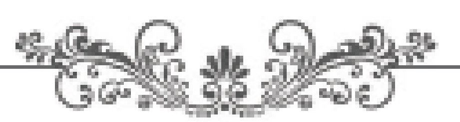
يقسم جل من حوله جهد أيمانهم وبكل تأييد مطلق ينم عن غباء مستحكم أنه لن يستطيع أبدا الفكاك منه، لكن إيمانه بالله وبوطنه الخالد ليوم الدين يجعله يدعم جيش بلاده مصر - التي تلتزم وسط محيطها الإقليمي، وخلال موقعها كدولة تتطلع للأفضل بإقرار الإسلام وذلك عبر دستورها كدين رسمي لها - إلى أن يموت في سبيلها - رغم أن فؤاده أصبح فارغا لخشية الآخرة - قرير العين...



كريم العقبي

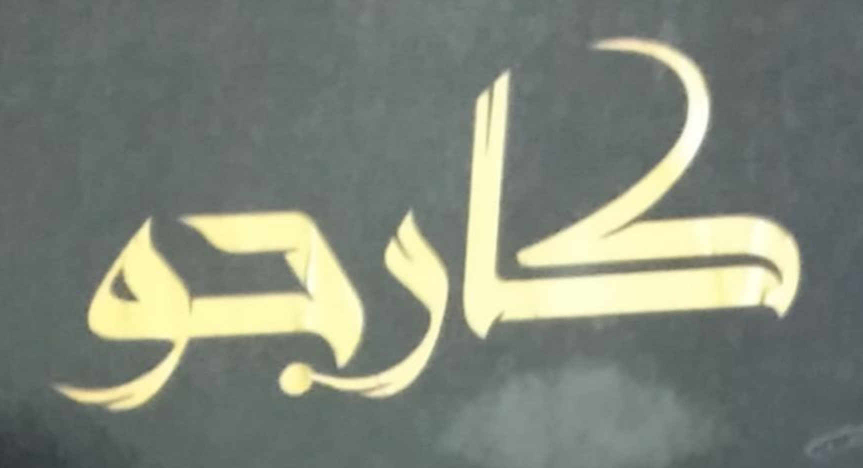
كاتب مصري من مواليد محافظة البحيرة عام ١٩٩٢، أتيحيت له دراسة الطب وكذلك الصيدلة فلم يوفق في أي منهما، فكان لزاما عليه أن يلتحق بالخدمة العسكرية أولا حتى يتمكن من إكمال دراسته في كلية أخرى، ومن ثم التحق بكلية الآداب . جامعة دمنهور وحصل منها على درجة الليسانس في السياسة، وما بين أيديكم هي روايته الأولى «كارجو» التي يعدها بمثابة اعتراف ضمني منه بأنه رغم ظروف الفشل والمرض التي كابدها في حياته قد عاش كإنسان يمكن أن تكون له وسط معمعة الدمار والخراب التي عاناها زهرة يتنسم عبيرها من حين إلى آخر...





فهرس الموضوعات





من المأثور عن الأديبة الإنجليزية فرجينا وولف أنها قالت بأن النصيحة الوحيدة التي يستطيع أن يسديها شخص لآخر حول القراءة هي ألا يتبع أي نصيحة، فهي أن تتبع حواسك، أن تستخدم عقلك وأن تتوصل إلى استنتاجاتك الخاصة.... وذلك ما أريده من القارئ أثناء الاطلاع على هذه الرواية فلقد كتبتها في سورة من سورات الغضب المتلاحق، وأريدها أن تكون بردا وسلاما على عقلية القارئ مثلما أصبحت لدي ترياقا ضد سموم العاطفة...

كريم العقبي...

